

مجمع الأمثال

977 - أَجْوَدُ مِنْ حَاتِمٍ .

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج كان جواداً شجاعاً شاعراً مُطافراً إذا قاتل غلاب وإذا غنم نهب وإذا سئل وهب وإذا صرَب بالقداح سَدِق وإذا أسَرَ أطلق وإذا أثري أنفق وكان أقسم بالله لا يقتل واحداً أمه .

ومن حديثه أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسيرٌ لهم : يا أبا سَفَّانة أكَلانِي الإسار والقمل فقال : ويحك ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء وقد أسأْتُ تَنِي إذ نَوَّهتَ باسمي ومالكَ مَتَرَكَ ثم ساوم به العَنَزَين [ص 183] واشتراه منهم فخلَّاه وأقام مكانه في قِدِّه حتى أتى بفدائه فأدَّاه إليهم .

ومن حديثه أن ماويةً امرأةَ حاتم حدَّثت أن الناس أصابتهم سَدَّة فأذهبت الخُفَّ والظلف فبتنا ذاتَ لَيلةٍ بأشدِّ الجوع فأخذ حاتم عديساً وأخذتُ سفَّانة فعللاً نَناهما حتى ناما ثم أخذ يُعَلِّلني بالحديث لأنام ففرقت له لما به من الجَهْد فأمسكت عن كلامه لينام ويظن أنني نائمة فقال لي : أنِمتِ ؟ مراراً فلم أجبه فسكت ونظر من وراء الخِباء فإذا شيء قد أقبل فرفَّع رأسه فإذا امرأة تقول : يا أبا سَفَّانة أتيتُكَ من عند صَديقة جِياح فقال : أحضريني صبيانَكَ فوالله لأشُدَّ عَنَدَهُم قالت : فقمْتُ مُسْرَعة فقلت : بماذا يا حاتم ؟ فواي ما نام صَديكانكَ من الجوع إلا بالتعليل فقام إلى فَرَسه فذبحه ثم أَجَّجَ ناراً ودفع إليها شَفرة وقال : اشْتَوِي وكُلِّي وأطعمي ولدك وقال لي : أَيَقِظِي صَبيدَكَ فأيقظتهما ثم قال : والله إن هذا للؤم أن تأكُلُوا وأهلُ الصَّرْمِ (الصرم - بالكسر - جماعة البيوت) حالُّهم كحالكم فجعل يأتي الصَّرْمِ بيتا بيتا ويقول : عليكم النار فاجتمعوا وأكلوا وتَقَنَّعَ بكسائه وقَعَدَ ناحيةً حتى لم يوجد من الفرس على الأرض قليل ولا كثير ولم يَذُقْ منه شيئاً .

وزعم الطائيون أن حاتماً أخذ الجودَ عن أمِّه غنية بنت عفيف الطائية وكانت لا تليق شيئاً سَخَاءً وجوداً